خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٦/٦/٥

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

*****

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

في الخطبة الماضية، تناولتُ مواقف تواضع المسيح الموعود عليه السلام، فضلًا عن بعض وصاياه. واليوم أيضًا سأستعرض في هذا الصدد بعض واقعاته ووصاياه.

يروي شيخ محمد إسماعيل أن المسيح الموعود عليه السلام كان من حسن أخلاقه أن أهل قاديان الذين كانوا يمضون وقتهم في عداوته دون أن يتركوا فرصةً للإساءة إليه، حين جاؤوا إلى بابه وطرقوه، رأيتُه يخرج إليهم حافي القدمين، وما إن يراهم حتى يردّ على تحيتهم بكل لطف وحفاوة، ثم يسألهم: "كيف حالكم؟"، ويستفسر عن أحوال أهل بيتهم جميعًا، ثم يقول: "ما الذي جاء بكم؟" فإذا عرض أحدهم حاجته، سأله: "كم تحتاج؟" ثم يأتي بأكثر مما طلب، ويقول: "إن احتجتَ إلى المزيد فخذه." وقد كان تعامله مع أعدائه في غاية الحسن، وكان يعاملهم بتواضع دائمًا، ولم يُظهر أمامهم تكبرًا قط. (روايات أصحاب أحمد ج٢)

روى مرزا بشير أحمد رضي الله عنه أنه سمع هذه الرواية من المنشي ظفر أحمد رضي الله عنه أن المولوي شير علي صاحب قد أخبره بها، قائلًا: في إحدى المرات، كان ميران بخش سودائي – وهو رجل مختل العقل – عائدًا من المسجد الكبير، فنادى المسيح الموعود عليه السلام باسمه مجردا، بأسلوب فيه قلة أدب، غير أنه لم يكن يملك عقلاً يردعه، فكان هذا شأنه في المناداة. فقال له: "يا غلام أحمد!" فوقف حضرته في الحال وقال: "نعم." ولم يُبدِ أي استياء، بل قال: "نعم، ماذا تريد؟" فأجابه الرجل بالبنجابية: "سلّم أولًا!" إذ كان يحسب نفسه – في وهمه – شخصًا ذا سلطة. فقال حضرته: "السلام عليكم." ثم قال له الرجل: "أعطني الضريبة!" وهي ضريبة تُدفع للحكومة على الأراضي. فلما سمع حضرته كلامه، أخرج منديله من جيبه وأعطاه منه أربعة آنات أو ثمانية آنات، فانصرف الرجل مسرورًا يُنشد أغاني المديح والثناء. وهكذا لم يُبدِ حضرته يومًا ضيقًا من كلام هذا الرجل المختل عقليًّا، بل كان يتوقف لأجله أيضًا. (سيرة المهدي ج١)

يروي الأستاذ نذير حسين: كنت كلما قدِمت إلى قاديان برفقة والدي لزيارة المسيح الموعود عليه السلام، وأُبلغ حضرته بأن الحكيم مرهم عيسى قد حضر، لاحظتُ دائمًا أنه كان يخرج في الحال فور تلقّيه الخبر، ويقدّم لنا شيئًا من الطعام، وفي بعض الأحيان يذهب بنفسه ويحضر الطعام. وكان حضرته يلقى ضيوفه ببساطة بالغة، حتى إنني رأيته أحيانًا يخرج وفي يده القلم، وأحيانًا يخرج حافي القدمين، حين يُطرق الباب يأتي من الغرفة على هيئته كما هو. وإذا كان جالسًا في المسجد الشريف وأتى ضيف، فكان في الغالب يقوم ليصافحه، وإن كان مشغولًا بحديث مع أحد فجاء آخر وجلس بجانبه ومدّ يده للمصافحة، فكان حضرته يتوجه إليه في الحال ويسأله عن أحواله. خلاصة القول إنه كان يستقبل زواره بغاية التواضع. (روايات أصحاب أحمد، ج٣)

ويقول المفتي محمد صادق رضي الله عنه: أذكر أنني قدمت مرةً من لاهور إلى قاديان، وكان ذلك فيما أظن عام ١٨٩٧ أو ١٨٩٨. فأجلسني حضرته عليه السلام في المسجد المبارك، وكان مسجدًا صغيرًا آنذاك. وقال لي: "اجلس، سآتيك بالطعام". ثم ذهب داخل البيت، وكنت أظن أنه سيرسل الطعام مع أحد الخدم، غير أنه بعد دقائق قليلة فُتحت النافذة فإذا بي أراه يحمل بيديه الكريمتين الصينية – أي الصحن الكبير – وقد رتّب عليها الطعام وجاء بها إليّ. فلما رآني قال: "تفضّل بتناول الطعام وسآتيك بالماء". يقول: فما ملكت نفسي من البكاء تأثرًا، وقلتُ في نفسي: إذا كان سيدنا وإمامنا يخدمنا على هذا النحو فكم بالحري بنا أن نهتم بخدمة بعضنا بعضا! (ذكر الحبيب عليه السلام)

هناك رواية عن بساطة حضرته عليه السلام ووداعته، يرويها مرزا بشير أحمد رضي الله عنه عن امرأة تُدعى مائي بهولي مائي جيوان، إذ قالت: جاء حضرته عليه السلام ذات مرة إلى القرية، فأحضرتُ له قمحًا جديدًا محمّصا. فأخذه وقسّمه في القرية على مَن كان معه، وتذوّقه بنفسه وفرح به. وكان حضرته كلما جاء للتنزّه، كان يدخل مسجدنا الطيني البسيط ويصلي فيه صلاة الإشراق. وكنا نقدّم له خبزاً مع الخضار البلدي، فلم يكن حضرته يُبدي امتعاضًا قط، ولا يُظهر أي نفور، بل كان يقبل ضيافتنا بصدر رحب. (سيرة المهدي ج٢)

يروي المنشي ظفر أحمد الكبورتهلوي رضي الله عنه واقعةً فيقول: كان حضرته عليه السلام لا يجلس في مكانه أبدًا والباب مفتوح، بل كان دائمًا يُغلق الباب من الداخل ثم يجلس. ويقول: كان ابنه ميان محمود أحمد يأتي بين الحين والحين ويقول: "يا أبي، افتح الباب"، فكان حضرته يقوم ويفتح له.

يقول: مرةً أتيت إلى حضرته، فوجدته جالسًا على حصيرة، فلما رآني حمل السرير وأدخله إلى الغرفة. فقلتُ: يا سيدي، أنا أحمله. فقال: "إنه ثقيل، لن تستطيع حمله"، ثم قال: "اجلس على السرير". فحمله إلى هناك وأجلسني عليه، وقال عليه السلام عن نفسه: "أنا مرتاح هنا على الأرض، سأجلس أنا هنا في الأسفل وأنتَ اجلس على السرير."

يقول: في البداية رفضتُ، لكنه قال: "اجلس دون تكلف". فجلستُ. وكنت أشعر بالعطش، فرفعتُ عيني نحو الجرار فلم أجد أي إناء للشرب. فلما رآني قال: "هل أنت عطشان؟ سآتيك بالماء". ثم نزل إلى حرم المنزل وأحضر كوبًا. ثم قال: "انتظر لحظة"، فنزل مرةً أخرى وأتى بزجاجتَي شراب كان قد أرسلهما إليه أحدهم من مانيبور. وكان شرابًا لذيذًا جدًّا. وقال عليه السلام: "لقد مضى على هاتين الزجاجتين أيام كثيرة، لأننا كنا نوينا أن نسقي أحد الأصحاب أولًا ثم نشرب بعده، وقد تذكرت اليوم". فصنع لي الشراب في الكوب وأعطاني إياه.

وقال عن تلك الهدية التي وصلته: "قلتُ في نفسي: أسقي أحد الأصحاب أولًا ثم أشرب". يقول الراوي: فقلتُ: يا سيدي، اشرب أنت أولًا منه قليلًا. فلما صب الشراب في الكوب وناولني، قلت للمسيح الموعود عليه السلام: اشرب أنت أولًا ثم أشرب. فشرب رشفةً واحدة ثم أعطاني فشربتُ. فأثنيتُ على الشراب، فقال: "خذ زجاجةً معك، وأعطِ الزجاجة الأخرى للأصحاب في الخارج." وما كان قد شرب من هاتين الزجاجتين إلا تلك الرشفة الواحدة. فأخذتُ الزجاجتين وانصرفتُ وفق أمره.

وكذلك يروي مرزا بشير أحمد رضي الله عنه أن عائشة بنت أحمد جان قالت: إنه في عام ١٩٠٦م، حين توفيت والدتي رحمها الله، أخذتني أمّان جي، زوجة الخليفة الأول للمسيح الموعود عليه السلام إلى بيتها، وأطعمتني الفطور وغيره. ثم بعد أربعة أو خمسة أيام، أخذتني أم المؤمنين إلى بيتها. (ثم يخبر الراوي بأن المكان الذي كانت أم المؤمنين تغسل رأسها فيه كان في الطابق العلوي حيث يوجد المطبخ،) وكانت امرأةٌ تصبّ الماء على رأسي، بينما كانت أمّ المؤمنين تغسل رأس تلك الطفلة التي فقدت أمها. وتقول: كانت أم المؤمنين تدلّك رأسي بالصابون وتغسله، وكانت تلك المرأة تصبّ الماء أكثر مما ينبغي. وكان حضرته عليه السلام يتمشى في ذلك المكان، فلما رأى ذلك، أخذ الإبريق من تلك المرأة وأخذ يصبّ الماء على رأسي بلطف وهدوء، بينما كانت أم المؤمنين تُمشّط شعري. وكان حضرته يقول: إنه بهذه الطريقة سيخرج القمل. فربما كان في رأسها قمل، إذ كان قد طال مرض والدتها ثم توفيت، ولم يكن ثمة من يعتني بها، فلهذا السبب ربما نشأ القمل، أو أنه كان متفشيا في تلك المناطق أصلًا. وعلى أية حال، قال: "اغسلي الرأس هكذا، ومرّري المشط هكذا، فسيخرج القمل".

لم يكن حضرته عليه السلام يأنف من المساعدة في أعمال البيت. يقول المفتي محمد صادق: ذات مرة كنت أبحث عن الماء للوضوء وبيدي إبريق، فدخلت من الباب الذي يصل مسجد المبارك بالمسكن الداخلي لحضرته، قاصدًا أن أعطي الإبريق لأحد خدّام حضرته ليجلب لي الماء من الداخل. وبالصدفة، خرج حضرته من الداخل، فلما رآني واقفًا، قال: "هل تحتاج ماء؟". فقلت: نعم يا سيدي. فأخذ حضرته الإبريق من يدي وقال: "سأحضره لك"، ثم دخل بنفسه وملأ الإبريق ماءً وأحضره وأعطاني إياه.

يروي ميرزا بشير أحمد ﷺ أن السيدة مراد خاتون، زوجة الدكتور خليفة رشيد الدين المرحوم والمغفور له، قالت: في إحدى المرات أكلت السيدة أم المؤمنين المانجو في معية عدد من النساء، وكان موسم المانجو، وكان المانجو من النوع المعروف آنذاك الذي يؤكل بالمص. فصارت في فناء المنزل كومتان أو ثلاث من القشور والنوى. (إذ كانت هناك نساء كثيرات) فبدأ الذباب يتجمع بكثرة حول تلك المخلفات. وانشغلت النساء بالحديث ولم ينتبهن إلى ضرورة تنظيف المكان. وتقول الراوية إنها كانت أيضا موجودة هناك، وكانت هنالك بعض الخادمات أيضا.

وفي أثناء ذلك جاء المسيح الموعود ﷺ، فلما رأى الحال على هذا المنوال أخذ بنفسه إناءً فيه مادة التنظيف (الفينيل)، وسكبها بيده على أكوام القشور في الفناء حتى يزول الذباب ويُنظَّف المكان. ولم يوبخ أحدًا ولم يوجِّه اللوم إلى أي شخص، بل أظهر بعمله أن النظافة يجب أن تتم بسرعة. ففي هذا الموقف يتراءى تواضعه بالإضافة إلى اهتمامه بالصحة والنظافة.

ذات مرة جاء للقاء المسيح الموعود ﷺ وفد يضم بعض الوجهاء من مدينة لاهور، وكان من بينهم الدكتور العلامة محمد إقبال والسير شهاب الدين وغيرهما. وقد روى بابو غلام محمد ﷺ تفاصيل تلك الزيارة قائلًا:

بعد تناول العشاء، وُزِّعت الأسرة على الضيوف، فاخترت سريرًا كبيرًا ومتينا. لكن شودري شهاب الدين، الذي عُرف لاحقًا بلقب "السير شهاب الدين"، نقل فراشي من ذلك السرير واستولى عليه. ثم جاء المسيح الموعود ﷺ وأخذ يسأل كل شخص: "هل تواجه أي مشكلة؟". فأجاب الجميع بالنفي.

وعندما وصل حضرته إليَّ كنت واقفًا متحيرًا، لأن شهاب الدين كان قد استولى على سريري. فقلت: "يا سيدي، لقد أخذ شهاب الدين سريري، وأنا لا أدري أين أنام". فقال لي: "انتظر، سأُحضر لك سريرا". يقول الراوي إن حضرته ﷺ ذهب فعلًا لإحضار سرير. مضى وقت طويل ولم يأتِ حضرته به، ثم نظرت من باب فناء منزله، وإذ بي أرى رجلًا ينسج سريرًا على عجل، بينما كان المسيح الموعود ﷺ واقفا بجانبه يحمل المصباح ليهيء له الضوء.

فلما رأيت ذلك شعرت بخجل شديد، فتقدمت وقلت: "يا سيدي! أعطني المصباح لأحمله أنا". لكنه أجاب: "لم يبقَ من العمل إلا قليل جدا". يقول الراوي: لقد أثرت فيَّ أخلاقه ﷺ إلى درجة أن الدموع انهمرت من عيني، وكنت أنظر إلى وجهه المبارك وأقول في نفسي: "إن هذا الوجه لا يمكن أن يكون وجه رجل كاذب أبدا".

وهناك شهادة أدلى بها المرحوم ميرزا إسماعيل بيك، خادم المسيح الموعود ﷺ إذ قال:

عندما كان المسيح الموعود عليه السلام يذهب قبل بعثته، لمتابعة القضايا القانونية تنفيذًا لتوجيهات والده الكريم، كان يرافقه حصان للركوب، وكنت غالبًا أكون معه. ولكن عندما يبدأ السير كان عليه السلام يمشي ويجعلني أنا أركب الحصان.

وكنت أرفض مرارًا وأقول: "يا سيدي! أنا أشعر بالحرج". فيجيب: "أنا لا أشعر بالحرج من المشي، فلماذا تشعر به أنت من الركوب؟"

وكان عليه السلام كلما خرج من قاديان أركبني الحصان أولًا، وبعد أن نقطع نصف الطريق تقريبًا أو أكثر قليلًا أنزل أنا، ويركب هو. وكذلك عند العودة من المحكمة كان عليه السلام يجعلني أركب أولًا ثم يركب هو بعد ذلك. وعندما يكون راكبًا كان يدع الحصان يسير بالسرعة التي تسمح لي بالمشي إلى جانبه دون مشقة.

كذلك يروي ميرزا بشير أحمد رضي الله عنه أن المولوي شير علي أخبره بأن المسيح الموعود عليه السلام إذا أراد أن يستفسر من المولوي محمد علي عن أمر ما، فإنه كان يذهب إلى غرفته الصغيرة في حجرته بدلا من أن يدعوه إليه.

ويضيف ميرزا بشير أحمد رضي الله عنه أن المولوي محمد علي كان يقيم في أثناء حياة المسيح الموعود عليه السلام في جزء من منزله عليه السلام وكان قد خصص له غرفة صغيرة تُستعمل أيضًا مكتبًا له، وتقع بجوار مسجد مبارك من الجهة الشرقية. وكان المسيح الموعود عليه السلام يذهب إليه بنفسه في تلك الغرفة الصغيرة. ومما يؤسف له أن المولوي محمد علي لم يتعلّم الدرس الذي كان ينبغي أن يتعلمه من تواضع المسيح الموعود عليه السلام، وأن الكِبر والعُجب أوقعاه في النهاية في خسارة.

يكتب محرر جريدة "الحكم" عن بساطة المسيح الموعود عليه السلام قائلًا: كان عليه السلام يخرج للتنزه وما كان يمنع أحدًا من المشي أمامه. وكان يحدث كثيرا أن بعض الصحابة الكبار كانوا يشعرون بالحرج لأن الغبار يتصاعد بينما كان المسيح الموعود عليه السلام يسير خلفهم. وكانت الطرق آنذاك غير معبدة، فيتطاير التراب أثناء المشي، لكن لم يخطر هذا الأمر ببال حجة الله قط.

وكثيرًا ما كان يحدث أن يأتي الناس من الخلف فيصطدم أحدهم به دون قصد، أو ينزلق حذاؤه، أو تسقط عصاه بسبب الزحام، ومع ذلك لم يُرَ أو يُسمَع قط أنه أظهر انزعاجا أو استياءً، أو أنه فضّل لنفسه موقفا أو وضعا خاصا. وما كان يقول لأحد: "لماذا لا تنتبه؟"

وكثيرًا ما حدث أنه عليه السلام كان جالسًا بين أصحابه في المسجد، فيأتي شخص غريب لا يعرفه، فيتجه أولًا إلى مصافحة المولوي عبد الكريم أو حكيم الأمة (المولوي نور الدين) رضي الله عنهما ظنًا منه أن أحدهما هو المسيح الموعود، حتى يُرشداه قائلَين: "هذا هو المسيح الموعود عليه السلام".

باختصار، فقد جعل عليه السلام من سيرة سيده وحبيبه محمد مصطفى ﷺ قدوة له، وسار على نهجه، وأظهر للناس النموذج نفسه.

يروي الدكتور بشارت أحمد حادثا فيقول:

توفيت زوجة نواب محمد علي خانْ من ماليركوتلا، فشيع المسيح الموعود عليه السلام الجنازة إلى المقبرة، وأمَّ الناس بنفسه في صلاة الجنازة. وكنت أيضا ضمن المشيعين. ما كان القبر قد أُعدَّ بعد. أخذ الناس ينظرون إلى كيفية القبر، وكنت أنا أيضًا أنظر في ذلك الاتجاه. وبعد قليل انتبهتُ إلى أن المسيح الموعود عليه السلام ليس موجودًا بين الناس. فبحثت عنه بقلق، فإذا به جالس وحده على الأرض في ناحية من البستان.

فأسرعت إليه وبسطت له ملاءة بيضاء تحت شجرة، ثم ذهبت إليه وقلت: "الشمس هنا شديدة، فهلا تفضلتم بالجلوس تحت ظل الشجرة؟" فقال: "نعم، هذا أحسن". فجلس على الملاءة تحت الشجرة، وجلست أنا قريبًا منه.

وبعد قليل لاحظ الناس مكانه، فبدأوا يتوافدون إليه. وكلما جاء شخص قال له حضرته: "تفضل، اجلس هنا"، ويتأخر حضرته عليه السلام قليلًا إلى الخلف ليُجلس القادم على الملاءة. واستمر الناس في القدوم، واستمر هو عليه السلام في التأخر وإفساح المكان لهم.

ولم يمض وقت طويل وإذ بي أرى المسيح الموعود عليه السلام جالسا على التراب، بينما كان جميع مريديه جالسين على الملاءة!

أما القادمون فقد شغلوا عن هذا الأمر نتيجة الشوق في الزيارة واللقاء، فلم ينتبهوا إلى أن حضرته عليه السلام جالس على الأرض بينما هم على الرداء. أما أنا فكنت أراقب ذلك كله، وكاد قلبي يحترق كمدا، وفي الوقت نفسه كنت أزداد إيمانا إذ رأيت أن الله تعالى قد منح المسيحَ الموعود عليه السلام منزلة رفيعة، ومع ذلك كان يتحلى بأقصى درجات التواضع والانكسار.

يروي منشي ظفر أحمد حادثا وقع في أيام المناظرة التي جرت في مدينة أمرتسار مع عبد الله آتهم، فيقول: كنا نقيم في دار أحد الوجهاء اسمه كريم بخش على الأغلب. وانضم إلينا الكولونيل ألطاف علي خان، وقال لي إنه يرغب في مقابلة المسيح الموعود عليه السلام على انفراد. كان الكولونيل يرتدي بدلة أوروبية كاملة، وكان حليق اللحية والشوارب. فقلت له: "تفضل بالدخول، ولن نسمح لأي شخص بالدخول عليكما". فدخل الكولونيل وبقي مع حضرته منفردًا قرابة نصف ساعة. وعندما خرج كانت عيناه تفيضان بالدموع. فسألته: "ما الذي دار بينكما حتى أصبحتَ على هذه الحال؟"

فقال: "عندما دخلت وجدت حضرته جالسًا على حصير من القش بحسب ظنه، لكنني لاحظت أنه لم تكن على الحصير إلا ركبته، أما بقية جسده فكانت على الأرض".

قلت إن حضرتكم جالس على الأرض. فظن حضرته أني أنا اللواء لا أحب الجلوس على الحصير، فنزع حضرته عمامته وبسط جزءا منها على الحصير، فقال لي اجلسوا هنا إذ يبدو أنكم لا تحبون الجلوس على الحصير، فقد بسطتُ لكم ثوبي بعد نزعه عن رأسي. وحين لاحظت ذلك دمعتْ عيناي، وقلت له، صحيح أني قد تعمدت في إنجلترا، أي قد تنصرت، إلا أن الإيمان لم يفارقني نهائيا حتى أجلس على عمامة

حضرتك. فقال حضرته لا بأس في ذلك، ولا حرج، اجلسوا عليه بلا تكلف. باختصار قد أزحتُ ثوبه بيدي وجلست على الحصير، وبدأت أشرح له حالي، وقلت إني أشرب الخمر كثيرا، وأرتكب معاصي أخرى أيضا، ولا أعرف اسم الله ولا رسوله، لكني الآن أتوب عن المسيحية وأُسلم بحضورك بعد ملاحظة حالكم والاستماع إلى كلامكم. إلا أنني أجد التخلص من العيوب التي تعودت عليها صعبا. فقال لي حضرته اِستغفر الله كثيرا والتزم بالصلوات الخمس. (إذا اعتاد المرء على السيئات وابتعد عن الدين فعلاجه أن يُكثر من الاستغفار ويهتم بصلاته كثيرا). ثم ظل حالي يتغير وظللت أبكي ما دمت عند حضرته، وفي هذه الحالة استأذنته في الانصراف مُقرًّا بأني سوف أستغفر وأداوم على الصلاة حتما. أجد في قلبي تأثير ذلك المجلس حتى الآن.

كان هذا اللواء قد شارك في تلك المناظرة وكان يجلس مع المسيحيين، لكن لما كان الله ﷻ قد فطره على البر والصلاح، فقد أسلم من جديد.

يقول المولوي عبد الكريم السيالكوتي: قبل أربع سنين، (وعلى الأغلب في عام ١٨٩٦ لأنه ذكر ذلك في عام ١٩٠٠) إن أهل حضرته كانوا قد سافروا إلى لدهيانة، وكان شهر يونيو وكان حضرته في بيت حديث البناء فاستلقيت على سرير ظهرا، وكان حضرته يتمشى، فحين استيقظت وجدت حضرته مستلقيا على الأرض قرب سريري، فنهضتُ مضطرب البال احتراما. فقال لي بلطف لماذا نهضتم؟ قلت أنتم مستلقون على الأرض وكيف يمكن لي أن أظل نائما على السرير! فقال بمنتهى اللطف مبتسما، أنا كنت أحرسكم، لأن الأولاد كانوا يثيرون الشغب وكنت أمنعهم حتى لا يحدث الخلل في نومكم.

لقد بين حضرة منشي إمام دين مشهد بيعته وقال قد بايعتُ في عام ١٨٩٤ على يد سيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام المباركة، وكان يرافقني أخي منشي عبد العزيز وأخي جمال الدين السيكهواني حتى صلاة المغرب، وبعد الفراغ من الصلاة، قال منشي المذكور لحضرته عليه السلام مشيرا إلي أن يأخذ بيعتي، فقال حضرته تعال إلى الداخل، فحين دخلت بيت الفكر وحدي، جلس حضرته على السرير ناحية القدمين وأمرني بالجلوس عليه ناحية الرأس، فاستحييت أول الأمر لكن حضرته حين قال لي مرة ثانية جلستُ عليه، ثم أخذ حضرته بيعتي، فانذهلت من تصرف حضرته عليه السلام وقلت في نفسي أن هناك مرشدين لا أحد يمكن أن يجلس بحذائهم، أما هذا المسيح الموعود المبعوث من الله فقد أجلسني أنا العبد الحقير على الجزء الأفضل من السرير أي ناحية الرأس. إن أخي منشي عبد العزيز لم يدخل الغرفة لكنه رأى هذا المشهد من الخارج.

يقول حضرة منشي ظفر أحمد: ذات مرة قلت أنا ومنشي أرورا المرحوم لحضرته في لدهيانة أن يشرف كبورتهله بحضوره، وإلى ذلك الزمن لم تكن السكك الحديدية وصلت إلى كبورتهله، فوعدَنا حضرته قائلا سنأتي هناك حتما يوما، وبعد ذلك وصل حضرته عاجلا إلى كبورتهله دون أن يخبرنا بذلك، ونزل من عربة

الحصان وتوجه إلى مسجد فتح والي القريب من موقف العربات بكبورتهله، وكان يرافقه الحافظ أحمد علي. فأرسل حضرته شيخا غير أحمدي في المسجد وطلب منه أن يخبر منشي أرورا المحترم أو منشي ظفر أحمد المحترم بوصوله، فكنت أنا ومنشي أرورا في المحكمة، (حيث كان يعمل كاتبا في المحكمة) فجاء ذلك الشيخ وقال لنا إن حضرة المرزا موجود في المسجد وأرسلني لأخبركم بمجيئه، فقال له منشي أرورا بلهجة العجب والعتاب باللغة البنجابية هل كان حضرة المرزا سينزل في مسجدك؟ فلا تكذب. لكنني قلت له ينبغي أن نصل إلى هناك لنتأكد، فربط العمامة بسرعة وانطلق معي، فلما وصلنا إلى المسجد وجدنا حضرته مستلقيا على الأرض، والحافظ حامد علي يدلك قدميه، وبقربه كوب وملعقة تبين لي أنه ربما شرب الحليب أو الخبز المبلل في ذلك الكوب. فقال منشي أرورا لحضرته يا سيدي! إذا كنتم ستأتون إلى هنا كان ينبغي أن تخبرونا لكي نأتيكم إلى محطة كرتابور، فقال حضرته لم تكن لذلك حاجة، إذ كنت أريد أن أفي بوعدي معكم ففعلت.

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام: "أما أنا فلو كان أحد يقاسي الألم، وتناهى صوته إلى أذني وأنا في الصلاة، لوددت أن أساعده وأواسيه إن استطعت ولو بترك الصلاة. إنه لمما يُنافي الأخلاق ألاّ يُساعد المرء أخاه في مصيبته وأذاه. وإذا لم يكن في وسعكم فِعل أيّ شيء له، فعليكم أن تدْعوا له على الأقل. تَحَلَّوا بهذه الأخلاق حتى مع الهندوس وواسُوهم، ناهيك مع الأحباب. على المرء ألاّ يكون من الذين لا يهتمون ولا يبالون بالآخرين". (إن حضرته عليه السلام لم ينصح بذلك الآخرين فقط، بل يترشح سلوكه هذا من جميع هذه الأحداث التي سردتها عليكم)

ثم يتابع حضرته ويقول: "ذات مرة خرجتُ للنزهة مع عبد الكريم، وكان جابيا لضرائب الأرض، وكان يسبقني قليلاً، فقابلْنا في الطريق عجوزا ضعيفة في السبعين أو الخامسة والسبعين من عمرها، فسأَلتْه أن يقرأ رسالةً لها، فنهرَها وأزاحها عن طريقه، (يقول حضرته عليه السلام) فأصاب ذلك قلبي بصدمة، فلما اقتربت منها ناولتْني رسالتَها، فأخذتُها وتوقفتُ وقرأتُها وشرحتُ لها جيدا، مما جعله يندم كثيرا على ما بدر منه؛ لأنه اضطر للتوقف على أية حال، وحُرم الأجر أيضا". (فلو قرأ لها الرسالة بتواضع لكان خيرا له).

يقول حضرة مرزا بشير أحمد: أقول أنا العبد المتواضع إن سيدنا المسيح الموعود عليه السلام كلما قابل شخصا قابله مبتسما، وفور اللقاء كان يزول عن الزائر كل ألم ومعاناة إثر ملاحظة الابتسامة، وكان كل أحمدي يشعر أن بحضور مجلسه يغسل من قلبه كل هم وغم، فكان حين ينظر إلى وجهه الباسم يسري في جسمه موجة الفرح. كان من دأب حضرته الاستماع إلى القائل مهما كان صغيرا، والرد عليه بمنتهى اللطف. كل إنسان كان يظن أن حضرته يحبه أكثر من غيره، فكان بعض العامة غير المطلعين على آداب المجلس يقصون على حضرته قصصا طويلة لا علاقة له بها، وكان حضرته يستمع إليهم بصمت ولم يقل لأحدهم

قط أن يتوقف. فقد أتاه رجل أراد أن يحني رأسه ليخر على قدمي حضرته عليه السلام، فأزاح حضرته رأسه بيده وقال هذا لا يجوز. ينبغي القول "السلام عليكم" والمصافحة.

يقول حضرة مفتي محمد صادق أن أحمديا فقيرا طويل القامة من كشمير كان يحضر من قريته إلى قاديان مشيًا بمنتهى الإخلاص، ربما كان اسمه عقد جو، ذات مرة كان قد حضر قاديان وذات صباح حين خرج سيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام من بيته للتمشي كان ذلك الكشميري أيضا واقفا في المفرق، وحين رأى حضرته عليه السلام وضع رأسه لفرط الحب عند قدمي حضرته عليه السلام باكيا. فأنهضه حضرته منحنيا وقال: "هذا لا يجوز، لا تجوز السجدة للإنسان". أي ينبغي عدم الخرور على قدمي الإنسان ولا السجود له.

ويقول المولوي عبد الكريم السيالكوتي:

ذات يوم جاء إلى مسجدنا شخص يحب الدراويش والزُّهاد وأصحاب الزوايا ويبدي الإعجاب بهم، وكان قد اعتاد الحضور في مجالسهم، فاستغرب جدًّا حين رأى الناس يتكلمون مع حضرته بحرية تامة. فقال لحضرته: لا يراعى الأدب في مسجدكم، حيث يتحدث الناس معك دون أي تردد أو خوف، أي أنهم لا يحترمونك الاحترام اللائق بك، فقال حضرته: "ليس مذهبي أن أجلس فظًّا غليظ القلب حتى يخافني الناس خوفَهم من السباع، إنني أكره أشد الكراهية أن أكون وثنًا ويعبدني الناس، الله أعلم أني لا أفضِّل نفسي على الآخرين أدنى تفضيل، فأنا لا أرى خبيثًا وعابدَ صنم أكثر من المتكبر، فالمتكبر لا يعبد أي إله وإنما يريد أن يُعبَد هو."

يقول حضرة مرزا بشير أحمد: ذكر لي منشي ظفر أحمد كفورتهلوي وقال: ذات مرة، نزل حضرة المسيح الموعود عليه السلام في أمرتسر عند العودة من دلهي. وكانت حضرة أم المؤمنين معه. أخذ حضرته عليه السلام أحد الأبناء (وهو على الأغلب مرزا بشير أحمد) بإحدى ذراعيه، وحمل حقيبة ثقيلة تحت إبطه الآخر، (أي كان قد حمل الطفل في جهة والحقيبة في الجهة الأخرى، وقال لي: خذ أنت صندوق البانات، أي قال له أن يحمل تلك العلبة الصغيرة. ("البان" اسم شجرة يلفّون في ورقها بعض البهارات مع حلويات معطرة، ويضعونها في الفم، فتنظف الفم وتعطره، كما تفرّح القلب.) فقلت: سيدي! دعني أحمل هذه الحقيبة. فقال: لا. وكررتُ الطلب مرة أو مرتين فأجابني بنفس الجواب. فحملتُ صندوق البانات وسِرنا. وفي هذه الأثناء قال لي شابان أو ثلاثة من الإنجليز في المحطة: قل لحضرته أن يقف قليلاً. فقلت: سيدي، هؤلاء يريدون منك أن تتوقف قليلا. فوقف حضرته، وفي هذه الحالة التقطوا صورته. (أي أنهم كانوا يريدون صورة حضرته، وصوّروه وهو يحمل طفلا وحقيبة، فمع بساطة حضرته قد تأثر هؤلاء من شخصيته وقالوا بأنهم يريدون التقاط صورة هذا الرجل الصالح).

يقول حضرة "ملك مولى بخش": كان هناك رجل يُدعى" ميان جان محمد" يسكن مقابل منزلنا في أمرتسر، وكان كثير الكلام جدًّا، وحافظًا عمليًّا لكتاب حضرته عليه السلام "الكحل لعيون الآريا"، وبالرغم من كونه أميًّا فقد كان يناقش الآريين مناقشات قوية. أصابه مرض "المراق" أي القلق والاكتئاب، وكان يتعرض أحيانًا لحالات من الجنون. فكان يحدّث كلَّ من يلقاه عن حال مرضه بتفاصيل طويلة، فيوقفه طويلًا، فملّ الناس من سماع كلامه وأخذوا يتجنبونه. فقال له أحدهم: اذهب إلى قاديان وتعالج عند حضرة المولوى الحكيم نور الدين. فقال الرجل: إنه رجل كبير، وأنى له أن يسمع قصتي الطويلة هذه؟ لكن ذلك الشخص أكد له قائلًا: لا، إنه إنسان ذو أخلاق رفيعة، وسيستمع إليك حتمًا. فجاء هذا الرجل إلى قاديان. واتفق أنه عندما نزل من العربة، كان حضرته عليه السلام مع بعض الخدم عائدًا من النزهة. فقال صاحب العربة: ذاك هو حضرة المرزا قادم. فنزل ميان جان محمد فورًا من العربة وتوجه مباشرة إلى حضرته وصافحه، وبدأ يسرد عليه حال مرضه واكتئابه بنفس الطريقة المضطربة التي كان يسرد بها، وأخذ يطيل في قصته. طالت القصة جدًّا حتى ضاق بها الناس، لكن حضرته عليه السلام ظل واقفًا يستمع إليه بهدوء تام ممسكًا بيده. وفي النهاية قال "ميان جان محمد" بنفسه: لقد جفّ حلقي الآن، لأنني تكلمتُ كل هذه المدة وأنت تستمع، ولم يعد بإمكاني الكلام الآن. فقال حضرته: "حسنًا، اذهب إلى دار الضيافة، كُلْ واشرب شيئًا، ثم اذهب إلى المولوى حكيم نور الدين وأخبره بحالتك وخذ منه الدواء". فذهب الرجل مرتاحًا إلى المولوى نور الدين، وبدأ يسرد عليه نفس القصة الطويلة. فأسرع حضرة المولوى وكتب له الوصفة بعد أن أدرك حاله بسرعة لأنه كان طبيبًا حاذقًا، وقال له حضرة المولوي: عرفتُ مرضك، ولم يسمع منه قصته كلها. أخذ الرجل الوصفة، لكنه قال: كانوا يقولون إن المولوى نور الدين ذو أخلاق عالية، لكن ما نسبة أخلاقه إلى أخلاق حضرة المرزا! لقد أثر هذا الموقف فيه تأثيرًا عميقًا، فبايع على يد حضرته، لأنه لم يكن قد بايع من قبل.

لقد روى لي هذه الواقعة الدكتور المرحوم عباد الله في حضور هذا الرجل نفسه، فصدقّه الرجل.

كذلك يذكر حضرة مرزا بشير أحمد فيقول: روى لي الأستاذ "الله دتّه" كتابة وقال: ذات مرة كان حضرته عليه السلام في لاهور بمبنى الجماعة الأحمدية إذ جاء لزيارته من منطقة "شرقپور بهيني" رجل مسنّ، نحيف الجسد، يُدعى "مستقيم"، غير أنه لم يتمكن من الوصول إلى حضرته بسبب ازدحام الناس حوله، فصاح بصوت مرتفع: سيدي! لقد جئتُ لزيارتك. فقال حضرته: "دعوا هذا المسنّ يتقدم". وكان الرجل عجوزًا لا يستطيع النهوض، فأمر حضرته قائلًا: "لا تُتعبوا العجوز". ثم قام بنفسه، وذهب إليه، وجلس بجانبه.

روى مرزا بشير أحمد قائلا: حدثني الدكتور مير محمد إسماعيل أنه لما ذهب المسيح الموعود عليه السلام إلى "ديره بابا نانك" مع بعض الخدام لرؤية عباءة "بابا نانك"، جلس هناك تحت ظل شجرة مع أصحابه على ثوب مبسوط، كان المولوي محمد أحسن الأمروهي أيضا مع حضرته. لما سمع القرويون عن قدوم حضرته عليه السلام

أخذوا يجتمعون هناك، فحدث أن بعض الذين جاؤوا أولا صافحوا الصحابي سيد محمد أحسن ظنًا منهم أنه المسيح الموعود وجلسوا جانبًا. وبعد أن صافحه ثلاثة أو أربعة منهم شعر الجميع أن هؤلاء أخطأوا في التعرف على شخصية المسيح الموعود عليه السلام، فقام المولوي سيد محمد أحسن وأخذ يشير إلى المسيح الموعود عليه السلام لكل من تقدّم لمصافحته.

كتب حضرة شيخ عبد القادر: كان المرحوم حضرة مرزا سلطان أحمد الابن الأكبر لحضرته عليه السلام يقول: إن والدي لم يقضِ عمره كما يعيش المغول أو الأثرياء، بل عاش كفقير، مع أنه كان ابن رئيس ومن سلالة مغولية. فروى لي الصراف "كنهيا لال" من قاديان قائلا: ذات مرة أراد حضرة المرزا الذهاب إلى "بطاله"، فأمرني أن أُحضر له العربة. وعندما وصل حضرته إلى النهر تذكر أنه نسي شيئًا في المنزل، فترك سائق العربة هناك ورجع ماشيًا على قدميه إلى المنزل. أما سائق العربة فوجد على الجسر ركابًا آخرين، فرحل مباشرة إلى "بطاله". وبالتالي غالبًا ما ذهب حضرة المرزا إلى "بطاله" مشيًا على الأقدام. فلما علمتُ بذلك، استدعيتُ سائق العربة وضربته، وقلتُ له: أيها الشقي! لو كنت منتظرًا مرزا نظام الدين لانتظرته ولو لثلاثة أيام، ولكن لأن هذا رجل طيب ودرويش، لذلك تركته وذهبتَ. يقول الراوي: لما علم حضرة المرزا –أي المسيح الموعود عليه السلام– بما حدث، استدعاني وقال: "كيف كان لذلك الرجل أن يظل منتظرًا من أجلي؟ لقد حصل على الركاب ورحل، فلماذا ظلمتَه أنت؟".

لقد نصح المسيح الموعود عليه السلام قائلًا:

"على كلّ واحد أن ينهض لصلاة التهجد ويدعو دعاء القنوت في الصلوات الخمس أيضا. توبوا من كلّ ما قد يجلب عليكم غضب الله. إنما المراد من التوبة أن تتخلّوا عن جميع السيئات وعن كلّ ما يبعث على سخط الله تعالى، وأن تُحدِثوا تغيُّرا حقيقيا وتمضوا قُدما وتتحلوا بالتقوى وتهذبوا أخلاقكم. فهذا أيضا مدعاة لرحمة الله تعالى. يجب أن تهذبوا عاداتكم، وتجتنبوا الغضب وليحلّ مكانه التواضع والحلم."

ومع إصلاح الأخلاق، أخرِجوا الصدقات أيضا قدر المستطاع. كانت هذه النصيحة التي قدمها المسيح الموعود عليه السلام للجماعة في مسائل مختلفة. ويقول المسيح الموعود عليه السلام:

"إن من الشروط التي يجب على أهل التقوى أداؤها أن يقضوا حياتهم في الفقر والمسكنة، هذا فرع من التقوى – أي أن يقضي الإنسان حياته في الفقر والمسكنة، فهذا فرع من التقوى. نحارب به الغضب في غير محله. ذلك أن اجتناب الغضب في غير محله هو المرحلة الأخيرة والأصعب لكبار العارفين والصِّدّيقين. فالعُجب والغرور يتولدان من الغضب، وبالمثل، فإنّ الغضب في بعض الأحيان يكون نتيجة للزهو والغرور، إذ ينشأ الغضب فقط عندما يظن المرء أنه أفضل من غيره.

إنني لا أرضى بأن يعدّ بعض أفراد هذه الجماعة أنفسهم أفضل مِن سواهم، أو أن يفاخر أو يزدري بعضُهم بعضًا. الله أعلم بمن هو أعظم ومن هو أصغر. إن هذه النزعة نوع من التحقير الذي يتضمن الازدراء،

وأخشى أن ينمو هذا الازدراء نماء البذرة ويُهلِك صاحبَه. إن بعض الناس يلتقون كبار القوم بفائق الاحترام، ولكن الكبير مَن يستمع إلى المسكين بمسكنة وتواضع، ويواسيه ويقيم لحديثه وزنا، ولا ينطق بما يستفزّه ويؤلمه.

يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾. يقول المسيح الموعود عليه السلام في بيان تفصيلها:

فلا ينادي بعضكم بعضا بما يستفزه، فإن هذا دأب الفسّاق والفجّار. إن الذي يستفزّ غيره لن يموت حتى يتعرض لمثل ذلك. فلا تحتقروا إخوانكم، فما دمتم تنهلون جميعا من نبع واحد، فما يدريكم أيّكم أكثرُ حظًّا من هذا الشراب. لا يكون أحد مكرما ولا معظما بحسب القواعد الدنيوية، إنما كبيركم عند الله التقيُّ: إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير".

نسأل الله تعالى أن يرزقنا التواضع والانكسار على وجه الحقيقة، وأن يجعلنا من المتمسِّكين بتعاليم الإسلام الحقيقية والمؤدِّين لحقّها بعد أن بايعنا المسيح الموعود عليه السلام. آمين.

****